معتقدات الشيعة الباطنية وأثرها في هدم الشريعة الإسلامية

Esoteric Beliefs of the Shiites And its impact on the demolition of Islamic law

[1] سماعين بلجيلالي ، [2] المشرف أ. د خالد إسماعيل

[1] كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية – جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، (الجزائر) مخبر الدراسات القرآنية والمقاصدية – beldjlalis@gmail.com

[2] كلية لعلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية – جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، (الجزائر) مخبر الدراسات القرآنية والمقاصدية – elkassid62or1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/02/02 تاريخ القبول:2021/01/18 تاريخ النشر: مارس/2021

الملخص

استهدف هذا البحث بيان أهم قواعد الاستدلال عند الفرق الباطنية الشيعية في تفسيرهم لنصوص القرآن خاصة والسنة عامة، حيث يعد هذا الفكر الخطير هدما للشريعة من أساسها، وتدميرا لعقيدة وعقول الأمة؛ لأن أصولها مخالفة تماما لفهم مراد الله تعالي، لا من حيث لسان العرب أو غيرها من القواعد التي يفهم بها كلام الله تعالى، فأردت كتابة هذا البحث مبتدأً بتعريف لهذه الفرقة من حيث نشأتها وطوائفها وأهم معتقداتها وحيلها في الدعوة لمذهبها، ثم عرجت على ما هو الباطن في تصورهم وعرض أدلتهم والرد عليها ومناقشتها مناقشة علمية موضوعية، وحتى يكون هذا البحث ذا أهمية ذهبت مباشرة إلى مصادرهم ومراجعهم وأخذت نماذج تطبيقية على ما نظروه لهذا الأصل المعتمد والموجود في مؤلفاتهم، والغرض من هذا كله هو كشف الغطاء عن هذا التيار الخطير على ديننا وبلادنا وشبابنا.

الكلمات المفتاحية: الباطن، الشيعة، الباطنية، خطر، الشريعة.

Abstract

This Research Aimed At Explaining The Most Important Rules Of Reasoning In The Shiite Internal Divisions In Their Interpretation Of The Texts Of The Koran, Especially The Sunnah In General, Where This Dangerous Thought Is Considered To Be The Foundation Of Islamic Legislation, And The Destruction Of The Faith And Minds Of The Nation, Because Its Origins Are Completely Contrary To The Understanding Of Allah's Desire, Not In Terms Of The Tongue Of The Arabs Or Other Rules That Understand The Words Of God, So I Wrote This Research Beginning With The Definition Of This Band, Then I Got To Know What Is Sub-Par In Their Conception And Presentation Of Their Evidence And Respond To Them And Discuss Them, An Objective Scientific Discussion, So That This Research Is Important, I Went To Their Sources And References, Application Models Have Been Taken Into Account For What They Have Seen, The Purpose Of All This Is To Expose The Danger Of This Dangerous Current To Our Country And Our Youth .

Key Words: The Subcontractor, Shiites, Bataninans, Danger, Legislation.

المؤلف المرسل: سماعين بلجيلالي ، الإيميل المهني: beldjlalis@gmail.com

المقدمة

الباطنية من أشهر الفرق التي خالفت عموم المسلمين بجملة من الآراء الفاسدة، ولقد كان لهذه الآراء أثر بالغ في تأويل كلام الله تعالى، فجاءت بتفسيرات باطنية غريبة مخالفة لظاهر القرآن الكريم بغية تبرير معتقداتها، ولمّا كانت هذه العقائد لا تقوم إلا على أساس التّأويل الباطني، أي لا بد أن يكون للنصوص ظاهراً وباطناً، فلم يقفوا عند حد التأويل، بل يدّعون أن النبي عليه الصلاة والسلام والأئمة قالوا: إن للقرآن ظهرا وبطنا، ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن، أو إلى سبعين بطنا، ولقد بالغوا في الاستدلال بباطن النص إلى درجة من التعمق حتى خرجوا عن دائرة ما لا يمكن أن يحتمله النص من كل وجه، وبذلك ابتعدوا كل البعد عن دلالة ألفاظ الشارع، ولأجل هذا وغيره يمكن صياغة الإشكالية التالية:

ماهي حقيقة هذه الفرقة من حيث نشأتها وعقائدها؟ وماهي الأدلة التي اعتمدوها في استنباطاتهم وتأويلاتهم، وشروط التأويل الصحيح؟ وما هو مقصودهم من وراء تعلقهم ببواطن النصوص والمغالات فيها؟ هل هو محاولة لإبطال الشريعة ونقضها أم اتباعا لأهوائهم بغية نصرة مذهبهم وتبريرًا لمعتقداتهم؟

أهداف الدراسة

كان هدف هذا البحث من خلال تتبع مراجع ومصادر الباطنية وتحليلها ونقدها هو الوصول إلى خطر هذا الفكر على الإسلام الذي هو بريئ من كل تلك الاستنباطات التي لا علاقة لها بدلالات ألفاظ اللغة العربية.

الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات تناولت قضية التأويل بنوعيه الصحيح والباطل منها:

-أثر التأويل في ظهور الفرق، للدكتور محمد حسن بخيت، حيث يبين هذا البحث أثر التأويل الفاسد في ظهور الفرق، وحقيقة التأويل الصحيح الموافق للكتاب والسنة، والتأويل الفاسد المخالف لهما.

-النص في القرآن بين القدامى والمحدثين -دراسة تحليلية- رسالة دكتوراه من جامعة تلمسان لنجادي بوعمامة.

-التأويل عند أهل العلم -للشريف أبي محمد الحسن بن علي الكتاني-.

-ظاهرة التأويل في الفكر العربي الإسلامي للدكتور عبد القادر فيدُوح.

المنهج المتبع

تتطلب الإشكالية التي هي محل الدراسة اعتماد عدة مناهج منها:

المنهج الوصفي: وذلك بالتوصيف للمفاهيم والأقسام.

المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع مواطن وجود تأويلات الباطنية من مصادرهم وكتبهم.

المنهج التحليلي: أما المنهج التحليلي فكان ذلك من خلال القيام بدراسة وتحليل أدلتهم والرد عليها، ضف إلى ذلك المنهج التاريخي من حيث نشأت هذه الفرقة.

وقد تطلّب مضمون البحث اتباع خطّة ملائمة لطبيعة الموضوع قصد الوصول إلى نتائج تبرهن على خطر وخطأ استنباطات وتأويلات هذه الطائفة، فبدأت بمقدمة تضمّنت تمهيدًا مناسباً من حيث طرح إشكالية البحث ووضع أهداف للدراسة، بالإضافة إلى تحديد المنهج المتبع، ثم عرّجتُ على التعريف بهذه الفرقة من حيث نشأتها وأهمّ فرقها وعقائدها والحيل التي يستعملونها لخدعة المدعو، ثم عرضتُ جملةً من أدلتهم وعمدتُ لمناقشتها، وقبل استعراض نماذج من استنباطاتهم وتأويلاتهم ذكرت شروط التأويل الصحيح حتى يكون منسجمًا مع الجانب التطبيقي من حيث أنها مخالفةً لهذه القواعد، وأنهيتُ البحث بخاتمة ذكرتُ فيها جملةً من النتائج المتحصّل عليها وبعض التوصيات.

1- تعريف الباطنية ونشأتها:

إنّ الناظر في الفرق الإسلامية من حيث تعريفها ونشأتها يستوقفه اختلاف المسائل العقدية والفكرية التي أَوْلَتْ عناية مؤرّخي الفرق والملل أمثال الشهرستاني وكتابه "الملل والنحل"، والمتكلمين أمثال أبي الحسن الأشعري ومصنّفه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين"، ومن الطوائف التي ظهرت في الساحة الإسلامية –الباطنية–، وللوقوف على مدى خطرها وابتعادها عن قواعد اللغة العربية في فهم دلالة نصوص القرآن الكريم نبدأ تعريفها.

1.1- تعريف الباطنية:

الباطنية فرقة تزعم بأن لنصوص الشرع ظاهراً وباطناً؛ ومن هذه التعاريف تعريف من يقول إنه: "تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً يكشف عن معانيها؛ فسميت بذلك لأخذهم بالتفسير أو التأويل الباطني، وكل من أخذ به سمي باطنياً، وكل طائفة أخذت به دخلت في مسمى الفرق الباطنية. وهي مسمى واسع يدخل تحته فرق كثيرة.

منها باطنية تتظاهر بحب آل البيت، وتبطن الكفر، وتزعم أن للنصوص ظاهراً علَمه الرسول عليه السلام لأمته، وباطناً علَّمه علياً رضي الله عنه وبلَغه سراً إلى الأئمة من بعده. ويدخل تحت هذه الطائفة فرق عديدة كالشيعة الإمامية، والإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والبابية، والبهائية، وسائر الفرق الباطنية التي انبثقت من الشيعة الإثني عشرية"[1].

2.1- متى ظهرت الباطنية وفرقها:

يحث الإسلام على الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف، ولم يكن هذا الأخير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا بعده في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وما ظهر لنا من اختلاف إنما كان في مسائل يسوغ فيها الاجتهاد، بل حدث ذلك فيمن جاء بعدهم مع بداية القرن الثالث هجري، لأسباب خارجيّة كتأثرهم ببعض الأمم والديانات، وأسباب داخلية كانتشار الجهل وإتباع الهوى وغيرها، فكان ذلك داعيًا لنشأت هذه الفرق.

***متى ظهرت الباطنية؟**

اختلف الباحثون في تحديد زمن ظهور الباطنـية، فذهب بعضهم إلى أن ظهورهم كان سنة هـ205

، وقال آخرون سنة 250 هـ، ويرى طرف آخر أن بداية ظهورها في أيام المأمون على يد حمدان بن قرمط، وعبد الله بن ميمون القداح، وانتشرت هذه الدعوة في زمن المعتصم العباسي، حيث اجتمعوا في سجن المهدي، للتنسيق بينهم، وهم: محمد بن الحسين، وعبد الله بن ميمون بن قداح، وحمدان بن قرمط، يقول البغدادي: "الَّذين أسسوا دَعْوَة الباطنية جمَاعَة مِنْهُم مَيْمُون بن ديصان الْمَعْرُوف بِالْقداحِ وَكَانَ مولى لجَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادِق وَكَانَ من الأهواز وَمِنْهُم مُحَمَّد بن الْحُسَيْن الملقب بذيذان وَمَيْمُون بن ديصان فى سجن والى الْعرَاق أسسوا فى ذَلِك السجْن مَذَاهِب الباطنية، ثمَّ ظَهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجْن من جِهَة الْمَعْرُوف بذيذان وابتدأ بالدعوة من نَاحيَة فَدخل فى دينه جمَاعَة من أكراد الجيل مَعَ أهل الْجَبَل الْمَعْرُوف بالبدين ثمَّ رَحل مَيْمُون بن ديصان الى نَاحيَة الْمغرب وانتسب فى تِلْكَ النَّاحِيَة إلى عقيل بن أبى طَالب وَزعم أنه من نَسْله فَلَمَّا دخل فى دَعوته قوم من غلاة الرَّفْض والحلولية مِنْهُم ادّعى أنه من ولد مُحَمَّد بن إسماعيل بن جَعْفَر الصَّادِق فَقبل الأغبياء ذَلِك مِنْهُ "[2]، وتذكر كتب التاريخ أنها طائفة لا صلة لها بالإسلامي بل من أصول مجوسية ويهودية[3].

***فرق الباطنية:**

تمثل ألقاب الباطنية الأوصاف التي اتصفوا بها، فلكل لقب أطلق عليهم سبب؛ فمن هذه الفرق:

ا. الباطنية: ولقبوا به لدعواهم أن لظواهر القرآن وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، ولتلك البواطن رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعس عقله عن الغوص في الخفايا والأسرار والبواطن، أبتلي بالأغلال والآصار التي يعنون بها التكليفات الشرعية، التي تنحل عمن ارتقى إلى علم الباطن فيستريح من أعبائه.

ب. القرامطة: ولقبوا بهذا اللقب نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم وقادتهم، فسمي أتباعه قرامطة وقرمطية.

ج. الخرمية: ولقبوا به نسبة إلى أصل لفظ "خرم" وهو اسم اعجمي بمعنى الشئ المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان بمشاهدته ويهتز لرؤيته، وهذا اللقب يدل على طي بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، والحث على اتباع اللذات، وطلب الشهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات.

د. البابكية: نسبة إلى زعيم من زعمائهم يسمى بابك الخرمي، ظهر سنة إحدى ومائتين بناحية أذربيجان، وكان زنديقا حارب جيوش المسلمين فهزمهم فاستطار شره وعلا أمره فخافه الناس، وبقي عشرين سنة يعيث في الأرض فسادا، فقتل مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة، وكان إذا علم أن أحداً عنده بنت جميلة أو أخت طلبها منه، فإن بعثها إليه وإلا أخذها عنوة، واشتدت وطأته على جيوش المسلمين حتى مزق جندهم وبددهم، إلى أن أذن الله بهلاكه وزوال أمره، فبعث المعتصم بالله جيوشا لحربه فهزموه وأتباعه، وأخذوا بابك وصلبوه، فتفرق أمر أتباعه وتشتتوا شذر مذر، ويذكر المؤرخون أنه بقيت من البابكية جماعة، يقال: إن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سرجهم وشموعهم ثم

يثب كل رجل إلى امرأة فيظفر بها، ويزعمون أن من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد.

هـ. الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق الذي يزعمون أنه إمامهم، ويرون أن أدوار الإمامية انتهت به، إذ كان هو السابع بمحمد صلى الله عليه وسلم.

و. المحمرة: ولقبوا به لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك الخرمي، ولبسوها وكان ذلك شعارهم، وقيل: سببه أنهم يقررون أن كل من خالفهم من الفرق وأهل الحق حمير.

ي. التعليمية: ولقبوا بذلك لأن مذهبهم قائم على إبطال الرأي وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا من خلاله.

وهناك فرق أخرى تقول بالتأويل الباطني ولها نفس المبادئ، كالبابية في بلاد العجم والقاديانية ببلاد الهند والبهائية بفلسطين والعلوية ببلاد الأكراد الذين يقولون أن علي هو الله [4].

3.1- عقائد والباطنية وحيلها:

لقد كان التأثر بالديانات الخارجية كالهندوسية واليهودية والمناهج الفلسفية اليونانية وغيرها سببًا لإبعاد المسلمين عن العقيدة الصحيحة والمعين الصافي الذي كان قريبًا لأذهان الناس، فبعد أن كانت سهلةً أصبحت معقدة صعبة الفهم لا تمدّها أيّ صلة بين النص ودلالته؛ ممّا نجد هذا واضحًا في عقائد الباطنية؛ فاستعملوا كل حيلة ومكر في اصطياد القلوب ودعوتهم.

عقائدها:

إن عقائد الباطنية مجموعة أفكار ملفقة ومضطربة من مذاهب شتى، لذا اختلفت مذاهبهم في الاعتقاد على درجات من الكفر والإلحاد كما سيتضح ذلك في مجموعة من الآراء سواء في الألوهية أو النبوة واعتقادهم في أئمتهم.

1- إنكار وجود الله تعالى: أي أنهم ملاحدة دهرية ينكرون الصانع.

ذهب بعضهم إلى أن الله تعالى لا يصحّ وصفه بأنه موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا موصوف ولا غير موصوف، ولا قادر ولا غير قادر. يقول محمد الرفنة الإسماعيلي عن الله تعالى: "ليس هو موجود فيوصف ولا غائب فينعت"[5]. ويقول البغدادي: "الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها"[6]، ويقول الشهرستاني: "فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول: هو موجود، ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز"[7].

2- يقولون أن هناك إلهين قديمـــين هما "العقل والنفس" متأثرين بالمجوس القائلين بإلهين "النور والظلمة".

ذهب قسم منهم إلى القول بوجود إلهَين[8]، لا أول لوجودهما من حيث الزمن، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة السابق، واسم المعلول التالي، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، وقد يسمون الأول عقلاً، والثاني نفساً. يقول البغدادي: "وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنـــية كانوا من أولاد المـــجوس، وكانوا مائلين إلى دين أســـلافهم"[9] . ويقول الديلـــمي: "واعلم أن

مذهبهم الردئ قولهم بإلهين هما السابق والتالي"[10].

ويقول السجستاني الإسماعيلي عن العقل الأول واصفاً إياه بأنه خالق: "ويقال للعقل الأول ومعناه الأولية التي ظهرت منها المخلوقات"[11].

-3 نفي صفات الله سبحانه وتعالى.

ذهبت الباطنية إلى نفي صفات البارى سبحانه، وهو دأب الزنادقة في اعتقادهم أن الله تعالى لا يوصف بأنه حي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير، بخلاف ما يعتقده أهل السنة أنهم يصفونه كما وصف به نفسه من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف[12]، يقول المؤيد الإسماعيلي: "فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة... ولا يقال عليه حياً ولا قادراً ولا عالماً ولا عاقلاً ولا كاملاً ولا تاماً ولا فاعلاً "[13].

ويقول أبو حامد الغزالي: "وكأنهم يتطلعون في تجريدهم لصفات الله تعالى في الجملة لنفي الصانع"[14].

-4 محمد صلى الله عليه وسلم ليس خاتم النّبيين.

من عقيدة المؤمن أن النبي عليه السلام خاتم الأنبياء وكل من ادعى خلاف ذلك فهو غَيٌّ وهَوى[15]، فيقولون أنه قد يحوز النبوة من توفرت فيه شروط النفس الزكية، وقالوا كل نبي لشريعته مدة، فإذا انتهت مدته بعث الله نبياً آخر ينسخ شريعته، وحددوا كل شريعة سبعة أئمة، أولهم النبي الناطق، ثم الأساس الصامت، ثم السوس، ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله، ومعنى الصامت أن يكون قائماً على ما أسسه غيره[16].

-5 ألوهية الأئمة.

ذهب قسم آخر منهم إلى تأليه علي رضي الله عنه والأئمة بعده[17]، وأن عليا خالق محيي مميت مدبر للعالم؛ ومنها النصيرية التي قالت بحلول الله تعالى في عليّ وذيته من بعده[18]. يقول الحامدي: "كما أن الله واحد أحد فرد صمد، لا شريك له في ملكه، ولا له صاحبة ولا ولد، كذلك مولانا علي واحد في فضله أحد فرد صمد لا شريك له فيه ليس له كفواً أحد"[19] .

- 6 تناسخ الأرواح وإنكار اليوم الآخر.

قولهم بالتناسخ وهو زعمهم أنّ من خالفهم تكون أرواحهم في الحيوانات والمأكولات والجمادات وغيرها[20]، وزعموا أن جعفر الصادق قد قال بتناسخ الأرواح، قال الجعفي: "وإنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي، وإنما يمكن أن يكون قرداً أو خنزيراً أو كلباً أو دباً"[21].

-7الإباحية وإسقاط التكاليف الشرعية.

يتميز مذهب الباطنية باستحلالهم للمحرمات كالزنا وشرب الخمر، وتوغلهم في الإباحية البهيمية، وتفلتهم عن القيام بالتكاليف الشرعية[22]. يقول الغزالي: "الْمَنْقُول عَنْهُم الإباحة الْمُطلقَة وَرفع الْحجاب واستباحة الْمَحْظُورَات واستحلالها وانكار الشَّرَائِع إِلَّا أنهم بأجمعهم يُنكرُونَ ذَلِك إذا نسب إليهم وإنما الَّذِي يَصح من معتقدهم فِيهِ أنهم يَقُولُونَ لَا بُد من الانقياد للشَّرْع فِي تكاليفه على التَّفْصِيل الَّذِي يفصله الإمام من غير مُتَابعَة الشَّافِعِي وَأبي حنيفَة وَغَيرهمَا وأن ذَلِك وَاجِب على الْخلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رُتْبَة

الْكَمَال فِي الْعُلُوم فَإِذا أحاطوا من جِهَة الإِمَام بحقائق الْأُمُور واطلعوا على بواطن هَذِه الظَّوَاهِر انْحَلَّت عَنْهُم هَذِه الْقُيُود وانحطت عَنْهُم هَذِه التكاليف العملية"[23].

– **8 التقيه وكتمان الأسرار**، يجوز للإمام عندهم أن يستعمل التقية في حال الإحساس بالخطر[24]، فهم أصحاب تنظيم سري يهدف لنشر الدعوة والقضاء على الإسلام، فإذا قويت شوكتهم يعلنوا ثورة مسلحة ضد الدولة القائمة[25].

–9 نظرية المثل والمثول.

ومعنى المثل والممثول كما يقولون: "خلق الله أمثالاً وممثولات، فجسم الإنسان مثل ونفسه ممثول، وأنّ هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى وجعل قوام الحياة بها من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل، وأن قواها الباطنية التي تؤثر في المسموعات هي ممثول تلك الأمثال"[26].

ويقول الدكتور محمد كامل حسين: "وإذن فالقاعدة في التأويل عند الإسماعيلية هي تطبيق المثل والممثول، فظاهر القرآن مثل، وباطنه ممثولات؛ والظاهر هو هذه المعاني التي يعرفها العامة وينطق بها علماء السنة، والباطن هو هذه المعاني التي يستخلصها الوصي والأئمة من أهل البيت دون سواهم من سائر المسلمين"[27].

***حيل الباطنية في الدعوة لمذهبهم لنسخ شريعة الإسلام.**

يميلون إلى كل من يدعونه إلى فكرهم على حسب اتجاهه ومعتقده، فإن كان شيعيا يتظاهرون له بالتشيع وإن كان يهوديا يتظاهرون له باليهودية وغيرها من الديانات؛ فتبدأ دعوتهم للكفر والإلحاد في اصطياد أصحاب العقول والقلوب الضعيفة بالتفرس ثم التأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالإيمان والعهود، وآخرها الخلع والانسلاخ من ربقة الإسلام، فيصير المدعو في هذه المرحلة النهائية كافراً ملحداً زنديقاً[28].

2– مفهوم الباطن عندهم وأدلتهم:

من المسائل العلمية التي أثارت جدلًا واسعًا في وسط الفكر الإسلامي، قضية ظاهر القرآن وباطنه، من حيث دلالة النصوص القرآنية واستنباط الأحكام والمعاني الخفية منها، بين متوسط في القول بالمعاني الباطنية وتقييدها بشروط، وبين مكتفٍ بالظاهر، وبين مُوغِلٍ فيها إلى حد استخراج معان غريبة عن المجال الدلالي للألفاظ.

1.2- مفهوم الباطن عندهم:

إن الشيعة بجميع فرقها، وخاصة الإسماعيلية منهم يعتقدون أن لكل ظاهر باطنا، وقد اختص بمعرفة الباطن عليّ رضي الله عنه وأولاده أي أئمتهم المعصومون، فسمّوا الموالين لهم بالخاصة، وغير المؤمنين بهذه الفكرة بالعامة[29].

وقالوا: "لا بدّ لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواسّ عليه، وباطـنه يحويه ويحيط

العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه"[30].

ثم قسموا الظاهر والباطن بين النبي والوصيّ حيث قالوا:"كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والدعوة الباطنة قسط وصيّه الذي فاض منه جزيل الإنعام"[31]، ثم قالوا:"إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلوات الله عليه، وصاحب الحقيقة هو الوصيّ عليّ بن أبي طالب "[32].

ويذكر الكليني في خطبة كتابه أن هذه العلوم توارثها أئمتهم بعده، فعلى ذلك يقول: "فأوضح الله بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عليه السلام عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل مناهجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، وجعلهم مسالك لمعرفته، ومعالم لدينه، وحجّابا بينه وبين خلقه، والباب المؤدي إلى معرفة حقه، وأطلعهم على المكنون من غيب سره، كلّما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما بيّنا، وهاديا نيّرا، وإماما قيّما، يهدون بالحق وبه يعدلون"[33].

2.2- أدلتهم مناقشتها:

إعتمدت الباطنية جملة من الأدلة التي لا سند لها عقلاً ولا نقلًا، تبين باطن القرآن الكريم المخالف لظاهره، حيث ذهب شيوخهم لرواية جملة من الآثار التي تؤوّل الآيات القرآنية على غير تأويلها الصحيح المعروف عند عامة المسلمين ونسبوها لأئمتهم.

أدلتهم:

إن الإسماعيلية كنز مقفل، أو قل عنها عالَم قائم بنفسه سمي عالَم المثُل، أو باطن الأشياء وأما ماهيته أو جوهرِه أو الفكرة المجردة التي لا تقع تحت مكان أو حس أو زمان والمكان فهو غير عالمها، وأنه ممثولها، ما لمثل ليس كالممثول[34]. فهم يقيمون على هذه النظرية، أي تفسير الأمور العقلية بما يقابلها من الأمور الجثمانية المحسوسة[35].

الدليل الأول:

ذكر صاحب تفسير البرهان[36] تحت عنوان، "باب أن للقرآن ظهراً وبطناً"، وتقرر كتب التفسير عندهم هذه المسألة كأصل من أصولهم كتفسير العياشي، والصافي، وغيرها.

ومن نصوصهم في هذه المسألة من أن للقرآن ظهراً وبطناً، وببطنه بطن إلى سبعة أبطن.

فعن جابر الجعفي قال: "سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه"[37].

الدليل الثاني:

جاء في بحار الأنوار: " إن للقرآن بطنا وللبطن بطن إن الآية يكون أولها في شيء وآخرها في

شيء ..."[38] بأن لكل آية من كلام الله ظهر وبطن، بل لكل واحدة منها كما يظهر من الأخبار عندهم بطون، وقال صاحب مرآة الأنوار: " لكل واحد منها كما يظهر من الأخبار المستفيضة سبعة بطون وسبعون بطنا، وقد دلت أحاديث متكاثرة كادت أن تكون متواترة على أن بطونها وتأويلها بل كثير من تنزيلها وتفسيرها في فضل شأن السادة الأطهار ... بل الحق المتبين أن أكثر آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام، بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتهديد والتفظيع؛ بل جملتها في مخالفيهم وأعدائهم ... إن الله تعالى جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل جل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة"[39].

الدليل الثالث:

ومما رواه الإسماعيلية عن النبي عليه السلام أنه قال: " ما نزلت علي من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن"[40]، ومما رووه عن الإمام الصادق وهو آخر إمام يجمعهم بالجعفرية أنه قال:"إنا نتكلم في الكلمة الواحدة سبعة أوجه، فقال الرجل متفكراً: سبعة يا ابن رسول الله؟ فقال: نعم وسبعين ولو استزادنا لزدناه"[41].

الدليل الرابع:

قالوا:"من معجزات وغرائب تأليفه أي القرآن الكريم أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه، فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بباطنه غير محمد رسول الله عليه السلام جدهم، ولا يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته، وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون، ويعطون كل أهل حد منه ما يستحقون، ويمنعون منه من يجب منعه، ويدفعون عنه من استحق دفعه "[42].

مناقشة الأدلة:

لا شك أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا، وهذه حقيقة تقرهم عليها النصوص الصحيحة ولا تعارضهم فيها، لكن لم يقفوا ولم يقتصروا على هذا، بل قالوا أن للقرآن سبعة وسبعين بطنا، ولقد كان من أثر هذا الرأي أن اشتد حرص هؤلاء القائلين به على أن يعقدوا صلة بين المعان الظاهرة والمعان الباطنة للقرآن الكريم، ويعملوا بكل ما في وسعهم وطاقتهم على إيجاد مناسبة بينهما حتى يُقرِّبوا هذا المبدأ من عقول الناس ويجعلوه أمراً سائغاً مقبولاً[43].

الرد الأول:

فأول ما نبدأ به رد مرجع الجعفرية الخوئي[44] عن حجية ظواهر القرآن قال: "لا شك أن النبي عليه السلام لم يخترع لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده، وأنه كلم قومه بما ألفوه من طرائق التفهيم والتكلم، وأنه أتى بالقرآن ليفهموا معانيه، وليتدبروا آياته..وقد تكرر في الآيات ما يدل على ذلك، ومما يدل على حجية ظواهر الكتاب، وفهم العرب لمعانيه، أن القرآن نزل حجة على الرسالة، وأن النبي عليه السلام قد تحدى البشر على أن يأتوا ولو بسورة من مثله، ومعنى هذا أن العرب كانت تفهم معاني القرآن من ظواهره"[45].

الرد الثاني

يقول ابن تيمية في رده على الحديث الذي يستدلون به:" أما الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلقة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث"[46]، ويقول:"من ادعى علماً باطناً، أو علماً بباطن وذلك يخالف العالم الظاهر كان مخطئاً، إما ملحداً زنديقاً، وإما جاهلاً ضالاً ... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم"[47].

الرد الثالث

جاء في"المعالم الجديدة للأصول" ما معناه هي أوضح من أن يطال فيها الحديث مادام البشر في جميع لغاته قد جرى على الأخذ بظواهر الكلام، وترتيب آثارها ولوازمها عليها، بل لو أمكن أن يتخلى عنها لما استقام له التفاهم بحال، لأن ما كان نصاً في مدلوله مما ينتظم في كلامه لا يشكل إلا أقل القليل. وبالضرورة أن عصر النبي عليه السلام ما كان بدعاً من العصور، لينفرد به الناس في أساليب تفاهمهم بنوع خاص من التفاهم لا يعتمد الظهور ركيزة من ركائزه، وما كان للنبى عليه السلام طريقة خاصة في التفاهم انفرد بها عن معاصريه، وإلا لكانت أحدوثة التاريخ، فالقطع بإقرار النبي عليه السلام لطريقتهم في التفاهم كاف في إثبات حجية الظواهر، وقد نزل القرآن بلغة العرب، وتبنى طريقتهم في عرض أفكاره، وكان لكلامه ظاهر يفهمونه ويسيرون على وفقه[48].

الرد الرابع:

يقتضي الأخذ بهذا التفسير عدم الانتفاع بالقرآن الكريم وعدم الثقة بألفاظه، وأن الباطن إذا كان مناقضًا للظاهر يؤول إلى إبطال الشريعة[49]، قال الأستاذ علي حسب الله: " إذا سمع المرء كلاماً عربياً تبادر إلى ذهنه ما يدل عليه الكلام بحسب وضعه العربي، فإذا تدبره فقد يفهم منه مقاصد مطوية وأغراضاً خفية، فالمتبادر الأول هو ظاهر الكلام، ويكاد يدركه كل عارف باللغة، والمفهوم الثاني هو باطنه وهو لا يدرك إلا بشيء من التدبر، وللقرآن ظاهر وباطن بهذا المعنى، وكلاهما مراد، غير أن الثاني لا يعتد به إلا إذا لم يكن مناقضاً للأول، وكان له شاهد من مقاصد الدين ومراميه "[50].

ويقول الألوسي: "إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب"[51].

و يقول الطاهر بن عاشور: "حال طائفة التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها، وصرفوا ألفاظ القرآن عن ظواهرها بما سموه الباطن، وزعموا أن القرآن إنما نزل متضمنا لكنايات ورموز عن أغراض، وأصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة عرفوا عند أهل العلم بالباطنية فلقبوهم بالوصف الذي عرفوهم به "[52].

3- شروط التأويل الصحيح ونماذج تطبيقية من تأويلاتهم الباطلة:

قبل إيراد نماذج من استنباطات وتأويلات الباطنية التي لا ضابط لها ولا قاعدة يرجع إليها ويعتمد عليها، نذكر شروط التأويل الصحيح التي ذكرها العلماء في كتبهم تبين حقيقة القول بأن للقرآن باطنًا

وظاهرًا، لأن الشيء يعرف بضده.

3.1-شروط التأويل الصحيح:

يشترط لصحة التأويل عند أهل السنة والجماعة:

- أن يكون اللفظ المرادُ تأويله يحتمله المعنى المؤول لغة أو شرعا؛ فلا يصح على هذا تأويلات الباطنية التي لا مستند لها في اللغة أو الشرع، بل ولا العقل.
- أن يكون السياق محتملاً.
- أن يقوم الدليل على أن المراد هو المعنى المؤول.
- أن يسلم دليل التأويل من معارض أقوى؛ فإذا اختل شرط من الشروط فهو تأويل فاسد[53].

2.3- نماذج تطبيقية حول تأويلاتهم الباطلة:

تزعم الباطنية أنهم وحدهم هم العالمون ببواطن الأسرار والأمور، وفي اعتقاد النصيرية[54] أن معرفة المراتب ظاهراً وباطناً هو ذروة العبادة وتُغْنيهم عن الفروض والعبادات؛ لأنها في نظرهم أغلال للجاهلين والمقصِّرين، فهم يرون أنّ من عرف الباطن سقط عنه عمل الظاهر وخرج من حد المملوكية ورق العبودية إلى حد الحرية[55]، جاء في كتاب ألهفت مانصه: "من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر، وما دام لا يعرف هذه الدرجات، ولا يبلغها بمعرفته ، فإذا بلغها وعرفها منزلة منزلة، ودرجة درجة، فهو حينئذ حر قد سقط عنه العبودية، وخرج من حد المملوكية إلى حد الحرية باشتهائه"[56].

ومن هذا المنطلق ذهب إلى تأويل العبادات على أسماء أشخاصٍ وكلها تأويلاً بعيداً عن فهم العقل، ومقام اللسان، ومنهج الدين، إمّا على سبيل الموالات لأئمتهم أو غيرها يقول البغدادي: " تأولوا لكل ركن من أركان الشَّرِيعَة تَأْوِيلا يُورث تضليلا فزعموا أن معنى الصَّلَاة مُوالَاة إمامهم وَالْحج زيارته وإدمان خدمته وَالْمرَاد بِالصَّوْمِ الامساك عَن إفشاء سر الامام دون الامساك عَن الطَّعَام والزنى عِنْدهم إفشاء سرهم بِغَيْر عهد وميثاق وَزَعَمُوا أن من عرف معنى الْعِبَادَة سقط عَنهُ فَرضهَا"[57]، ومن هذه التأويلات، نبدأ أولا بأركان الإسلام:

- الشهادة: التي هي أول ركن من أركان الإسلام عند النصيرية.

"هي أن تشير إلى صيغة ع _ م _ س التي هي رموز لـ: علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومحمد عليه السلام وسلمان الفارسي رضي الله عنه على الترتيب"[58].

- الصلاة: وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عمود الدين.

تفسر النصيرية الخمسة المصطفية عندهم أنها فروض أوقات الصلاة، فصلاة الظهر لمحمد والعصر لفاطر أي فاطمة والمغرب للحسن ابن علي بن أبي طالب والعشاء لأخيه الحسين والصبح لمحسن وذكر هؤلاء الخمسة يغني عن الغسل من الجنابة[59].

- الصيام: الصيام المفروض عندهم هو كتمان أسرارهم، وهو أيضاً حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً تمثلهم أيام رمضان، وثلاثين امرأة تمثلهن ليالي رمضان[60].

– الزكاة: أما الزكاة عندهم فهي رمز لسلمان الفارسي فمجرد ذكر سلمان الفارسي يغني عن دفع الزكاة[61].
_ الحج: أما الحج فيزعمون أن جميع مناسكه وشعائره ما هي إلا رموز لأشخاص معينة، مثلا البيت العتيق رمز لسلمان الفارسي و الحجر الأسود للمقداد بن عمرو[62] ...وما الحج عندهم إلا مجرد التوصل إلى معرفة الأشخاص بأسمائهم.

يقول صاحب "الباكورة السليمانية" في تفسير السورة الرابع عشرة واسمها البيت المعمور: "إعلم أن هذه السورة قد رتبها سلفاؤهم بإقامة الحج وهو أن البيت المعمور في القرآن زيارته، وأركان البيت وسقفه وحيطانه هو كناية عن معرفة أولئك الأشخاص.

البيت هو: الحجاب السيد الميم، والصفي هو: المقداد، والعتبتان هما: الحسن والحسين، وحلقة الباب هي: معرفة جعفر الصادق، والمروة: معرفة أبي ذر، والمشعر الحرام: معرفة سلمان الفارسي، ويوجد ذلك مصرحاً في أكثر كتبهم، ومعرفة هؤلاء الأشخاص وهو نهاية حجهم ومعنى معرفتهم.

وأما سعي المسلمين إلى مكة فهو باطل عندهم ومذموم كما قال بعض شيوخهم في هذا المعنى:

ولقد لعنت لمن يحرم شربها وجميع أهل الشام والحجاج"[63].

–الجهاد: أما الجهاد عند النصيرية فهو على نوعين ذكرها صاحب الباكورة السليمانية :"أولها الشتائم على أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وعلى جميع الطوائف المعتقدين بأن علي بن أبي طالب أو الأنبياء، أكلوا، أو شربوا، أو تزوجوا، أو ولدوا من نساء؛ لأن النصيرية يعتقدون بأنهم نزلوا من السماء بدون أجسام، وأن الأجسام التي كانوا فيها إنما هي أشياء، وليست هي بالحقيقة أجسام. والنوع الثاني إخفاء مذهبهم عن غيرهم، ولا يظهرونه ولو أصبحوا في أعظم خطر، ولو خطر الموت"[64].

ويقول صاحب "الحركات الباطنية" معلقاً على تلك التأويلات الباطنية:"وهكذا نتبين أن جميع الفرائض والعبادات الإسلامية لا اعتبار لها عند هذه الطائفة بأفعالها وأعمالها الظاهرة، وإنما ذِكْر بعض الأشخاص يغني عن كل هذه الأعمال التي يقوم بها الجهلة المقصرون من أهل الظاهر. وهذا يفسر لنا عدم وجود المساجد في قراهم ومدنهم؛ حيث يقيمون الصلاة في أماكن خاصة وسرية؛ لأن الصلاة _كما ذكرنا من قبل_ لا تُؤدَّى وفق الأسلوب المعروف عند المسلمين، ولكنها مجموعة رموز تدل على أشخاص معينين يرددها النصيري في مواقف العبادة والابتهال". ويضيف قائلاً: "ولهذا فهم لا يشترطون الطهارة في صلاتهم هذه؛ فالجماع، والاحتلام لا يفسدان الطهارة، وإنما الذي يفسدها موالاة الأضداد، والجهل بالعلم الباطني؛ فتكون الطهارة إذن معاداة الأضداد، ومعرفة العلم الباطني"[65].

قال الشاطبي: "وقالوا في "الجنابة": إن معناها مبادرة المستجيب بإفشاء السر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق، ومعنى "الغسل" تجديد العهد على من فعل ذلك، ومعنى "الطهور" هو التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام، و"التيمم" الأخذ من المأذون إلى أن يشاهد الداعي أو الإمام،

و"الصيام" الإمساك عن كشف السر، و"الكعبة" النبي، و"الباب" علي، و"الصفا" هو النبي، و"المروة" علي، و"التلبية" إجابة الداعي، و"الطواف سبعا" هو الطواف بمحمد عليه السلام إلى تمام الأئمة السبعة، و"الصلوات الخمس" أدلة على الأصول الأربعة وعلى الإمام، و"نار إبراهيم" هو غضب نمرود لا النار الحقيقية، وذبح "إسحاق" هو أخذ العهد عليه، و"عصا موسى" حجته التي تلقفت شبه السحرة، و"انفلاق البحر" افتراق علم موسى عليه السلام فيهم، و"البحر" هو العالم، و"تظليل الغمام" نصب موسى الإمام لإرشادهم، و"المن" علم نزل من السماء، و"السلوى" داع من الدعاة، و"الجراد والقمل والضفادع" سؤالات موسى وإلزماته التي تسلطت عليهم، و"تسبيح الجبال" رجال شداد في الدين، و"الجن الذين ملكهم سليمان" باطنية ذلك الزمان، و"الشياطين" هم الظاهرية الذين كلفوا الأعمال الشاقة، إلى سائر ما نقل من خباطهم الذي هو عين الخبال، وضحكة السامع، نعوذ بالله من الخذلان"[66].

وذكر أبو حامد الغزالي جملة من تأويلاتهم ففي الأمور الغيبية قال:" فَأَما الْمعَاد فَزعم بَعضهم أَن النَّار والأغلال عبارَة عَن الْأَوَامِر الَّتِي هِيَ التكاليف فإنها موظفة على الْجُهَّال بِعلم الْبَاطِن فَمَا داموا مستمرين عَلَيْهَا فهم معذبون فَإِذا نالوا علم الْبَاطِن وضعت عَنْهُم أغلال التكاليف وسعدوا بالخلاص عَنْهَا وأخذوا يؤولون كل لفظ ورد فِي الْقُرْآن وَالسّنة فَقَالُوا أَنهَار من لبن أَي معادن الدّين الْعلم الْبَاطِن يرتضع بهَا أَهلهَا ويتغذى بهَا تغذيا تدوم بهَا حَيَاته اللطيفة... وأنهار من خمر هُوَ الْعلم الظَّاهِر، وأنهار من عسل مصفّى هُوَ علم الْبَاطِن الْمَأْخُوذ من الْحجَج وَالْأَئِمَّة.

أما المعجزات فقد أوّلُوا جَمِيعهَا وَقَالُوا: "الطوفان مَعْنَاهُ طوفان الْعلم أغرق بِهِ المتمسكون بِالسنةِ والسفينة حرزه الَّذِي تحصن بِهِ من اسْتَجَابَ لدعوته ونار إبراهيم عبارَة عَن غضب نمْرُود لَا عَن النَّار الْحَقِيقِيَّة ...، عَصا مُوسَى حجَّته الَّتِي تلقّفت مَا كَانُوا يأفكون من الشّبَه لَا الْخشب، إنفلاق الْبَحْر افْتِرَاق علم مُوسَى فيهم على أَقسَام وَالْبَحْر هُوَ الْعَالم والغمام الَّذِي أظلهم مَعْنَاهُ الإمام الَّذِي نَصبه مُوسَى لإرشادهم وإفاضة الْعلم عَلَيْهِم الْجَرَاد وَالْقمل، والضفادع هِيَ سُؤَالَات مُوسَى وإلزاماته الَّتِي سلّطت عَلَيْهِم، والمن والسلوى علم نزل من السَّمَاء لداع من الدعاة هُوَ المُرَاد بالسّلوى"[67].

وبعد هذا كله تبين لنا أن لا علاقة بين مقصود وضع الشريعة وبين تأويلاتهم، يقول الشاطبي: " ومنها بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات لا تعقل يدعون فيها أنها المقصود والمراد، لا ما يفهم العربي منها، مسندة عندهم إلى أصل لا يعقل: وذلك أنهم فيما ذكره العلماء، قوم أرادوا إبطال الشريعة جملة وتفصيلا، وإلقاء ذلك فيما بين الناس؛ لينحل الدين في أيديهم، فلم يمكنهم إلقاء ذلك صراحا؛ فيرد ذلك في وجوههم وتمتد إليهم أيدي الحكام، فصرفوا أعناقهم إلى التحيل على ما قصدوا بأنواع من الحيل، من جملتها صرف الهم من الظواهر؛ إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة، وأن الظواهر غير مرادة، فقالوا: كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية؛ فهي أمثلة ورموز إلى بواطن."[68].

الخاتمة

لقد تبين من خلال هذه الدراسة، وانطلاقا مما سبق الوقوف عليه الوصول إلى النتائج التالية:

– مآل استنباطات وتفسيرات الباطنية الباطلة يهدف إلى الإلحاد والكفر وإبطال الشريعة، كما قال الشاطبي في الموافقات الجزء 3 صفحة 133:" وهذا رأي كل قاصد لإبطال الشريعة، وهم الباطنية؛ فإنهم لما قالوا بالإمام المعصوم لم يمكنهم ذلك إلا بالقدح في النصوص والظواهر الشرعية لكي يفتقر إليه على زعمهم، ومآل هذا الرأي إلى الكفر والعياذ بالله".

– خطورة هذه الفرقة يظهر من خلال خبث نياتهم ومقاصدهم في الدعوة إلى الانحلال من الدين وفساد الأخلاق بالإباحية المطلقة وتعطيل العقول وذلك بادعائهم العصمة للأئمة ولا يمكن إدراك العلوم إلا من خلالهم.

– من خلال دراسة نشأتها وفرقها تبين أن قصدها من وراء هذه الاستنباطات الباطنية هدم الشريعة من أساسها.

– نلمح جليا فساد معتقدات الشيعة واتباعهم للأهواء هو لجوءهم وتسترهم بالقول بالباطن والتأويل وإن كان في الحقيقة هو إخفاء من أحقاد لخير القرون.

– الأخذ بهذا التفسير يقتضي عدم الانتفاع بالقرآن الكريم وعدم الثقة بالألفاظ.

– تأويل الباطنية يختلف عن تأويل غيرهم من وجهين:

*عدم وجود دليل يقتضي صرف اللفظ عن ظاهره.

*عدم وجود دليل رابطة بين اللفظ والمعنى التأويلي الذي قصدوه مما يشعر بالتعسف والهوى والغرض الباطل.

– لا يمكن أن ننكر أن للقرآن العظيم أسرار وإشارات واستنباطات وإعجازات، لكن كل ذلك مما يتسع له اللفظ ولا يخرج عن المعنى العام، أما دعوى الباطنية في تأويلاتهم واستنباطاتهم لا تتصل بمدلولات الألفاظ ولا بمفهومها.

– الاستدلال بالنص يتجاذبه الظاهر والباطن، وهو منهج وسط فلا جمود على الظاهر ولا هو تحميل النص من المعاني بما لا تتسع له الألفاظ، و في هذا يقول ابن القيم في إعلام الموقعين الجزء1 صفحة 172:" والمقصود أن الواجب فيما علق عليه الشارع الأحكام من الألفاظ والمعاني أن لا يتجاوز بألفاظها ومعانيها، ولا يقصر بها، ويعطي اللفظ حقه والمعنى حقه؛ وقد مدح الله – تعالى – أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم؛ ومعلوم أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل ونسبة بعضها إلى بعض، فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله ومشبهه ونظيره، ويلغى ما لا يصح، هذا الذي يعقله الناس من الاستنباط".

– وُعُورَة مسالكه وذلك لتعذر تحصيل مراد الشارع ومقصده على وجه معتبر، ومن جهة أخرى صعوبة

تحديد وضبط المسالك التي تدل على أنه هو المراد بناء على باطن النص مما جعله عند التحقيق عبارة عن خيالات وأوهام لابتعاده عن حقائق وضوابط الاستدلال المعتبر.

وعلى ضوء هذا نقترح جملة من التوصـــيات والاقتراحات يمكن أن تســـاهم في الحد من انتشار هذا الفكر.

إنَ تطورات هذا العصر ومشكلاته المتراكمة التي لم تكن قبل يفرض على الدارسين في المجال الشرعي الاهتمام كثيرا ببيان الطرق المعتبرة لفهم مقصود الشارع باعتبارها المسلك المشروع لتحصيل الأحكام الشرعية، لأن الإبقاء على مثل هذه المفاهيم يجعل البعض ينظر إلى أن هذا مراد الله تعالى لخلقه وهو خلاف ذلك، والشريعة جاءت للإفهام بلسان عربي مبين راعت عوائدهم وأعرافهم، فأرجوا أن يفتح في جامـــعتنا تخصـــصات ومشاريع للبحـــث في هذا الموضـــوع لما فيه من خـــطر على الشـــريعة الإسلامية.

تنظيم ملتقيات تدرس طرق الاستدلال وشروط التفسير الصحيح لكلام الله تعالى.

على الأساتذة والطلبة والأئمة والوعاظ التوعية والتحذير من هذه الفرقة.

نوصي بإدراج مواد قانونية تمنع مثل هذا الفكر، ويقابل هذا التزام الدولة بتسخير جميع جهودها لمواجهة هذا الفساد والوقاية منه.

هذا ما تيسر لي جمعه في هذه المادة المخصصة معترفا بالتقصير تجاه هذا الموضوع راجيا من الله تحقيق هذه التوصيات.

الهوامش

1- الحمد محمد بن إبراهيم، مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل، دار ابن خزيمة، م ع س، ط1، 1427هـ-2006م، ص25.

2- الأسفراييني عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م، ص16و266/ الأسفراييني أبو المظفر طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م،ص22/ أبو عبد الله محمد بن مالك المعافري، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تح محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، م ع س، ص32/ ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م، ج6، ص587/عواجي غالب بن علي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، م ع س، ط4، 1422 هـ - 2001 م، ج2، ص480.

3- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ج م ع، 1427هـ-2006م، ج11، ص454.

4- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ج1، ص192/ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج، القرامطة، تح محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت لبنان، ط5، 1401هـ-1981م، ص35-50/ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج، تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ- 2001م، ص92- 95/ ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ج1، ص101/السلومي سليمان عبد الله، أصول الإسماعيلية، دراسة تحليل نقد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، دار الفضيلة، الرياض، م ع س، ج1،ص224/ الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ج م ع، ط7، 2000م ج2، ص188/ الرازي فخر الدين أبو عبد الله محمد، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تح علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ص76.

5- ثلاث رسائل إسماعيلية، محمد بن سعد بن داود الرفنة، تح عارف تامر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م، ص 25.

6- الفرق بين الفرق، ص278.

7- الملل والنحل، ج1، ص193.

8- تلبيس إبليس، ص 95.

9- الفرق بين الفرق ص 269.

10- الديلمي محمد بن الحسين، في بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من قواعد عقائد آل محمد، تص شتر وطمان، ص 34.

11- السجستاني أبي يعقوب إسحاق، ثلاث رسائل إسماعيلية، تح عارف تامر، دار الدفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، ص13.

12- الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، تح د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ج م ع، ط1، 1397، ص143/ هراس محمد بن خليل حسن، شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية، تخ علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، م ع س، ط3، 1415 هـ، ص65.

13- الحامدي إبراهيم بن الحسين، كنز الولد، تح مصطفى غالب، فرانس شتايتر، قيسبانت، 1391هـ-1971م، ص13.

14- الغزالي أبو حامد، فضائح الباطنية، تح عبد الرحمان بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، حولي، ص 39.

15- الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد، تخريج العقيدة الطحاوية، شر محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414 هـ، ص39.

16- فضائح الباطنية، ص40.

17- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصح هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، مدينة فيسبادن، ألمانيا، ط3، 1400 هـ - 1980 م، ص 10/ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج م ع، ج1، ص164/الملل والنحل، ج1، ص180.

18- السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة وهو: مختصر لكتاب "الصواقع المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة"، خواجه نصر الله الهندي المكي نصير الدين محمد، اختصار أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، تح الدكتور مجيد الخليفة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1429 هـ - 2008 م، ص63/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص 61.

19- كنز الولد ص 218.

20- العسقلاني أبو الحسين المَلَطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ص22/القمي سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، تع محمد جواد مشكور، مركز انتشارات علمي وفهرنكي، 1360هـ، ص59.

21- الجعفي المفضل بن عمر، الهفت الشريف من فضائل جعفر الصادق، تح مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت لبنان، ط2، ص 36.

22- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص21/الملل والنحل، ج1، ص180/مقالات الإسلاميين، ص5.

23- فضائح الباطنية، ص46.

24- الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص 16.

25- التفسير والمفسرون، ج2، ص9.

26- إحسان إلاهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ص 483/ كامل حسين محمد، في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ج م ع، ط1، ص27.

27- في أدب مصر الفاطمية، ص28.

28- الفرق بين الفرق، ص 282/ القرامطة، ص51.

29- في أدب مصر الفاطمية، ص28.

30- النعمان بن حيون التميمي المغربي، كتاب أساس التأويل، تح عارف تامر، منشورات دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص28.

31- إبن الوليد علي، كتاب الذخيرة في الحقيقة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م، ص113.

32- السجستاني أبي يعقوب إسحاق، الإفتخار، لبنان، ص71.

33- الكليني محمد بن يعقوب، أصول الكافي، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، ص6.

34- صابر طعيمة، العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1411هـ-1991م،ص13.

35- الأخظر الأخضري، الإمام في مقاصد رب الأنام، تقر محمد بوقابورة نبيل أبو بكر، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط 1، 1432 هـ-2011 م، ص190.

36- البحراني هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تح لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط 2، 1427هـ-2006م،ج1، ص19.

37- ابن عياش أبي النصر محمد بن مسعود السمرقدي، تفسير العياشي، تح هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م، ج1، ص 23/ البرهان في تفسير القرآن،ج 1، ص51/ الكشاني الفيض، تفسير الصافي، مكتبة الصدر، تهران، إيران، ط 3، 1379هـ، ج1، ص29.

38- المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم، إيران،(بدون سنة الطبع)، ج19، ص 48.

39- النباطي أبو الحسن بن محمد طاهر العاملي الفتوني، مقدمة تفسير البرهان المسماة بمرآة الأنوار ومشكاة الأشرار، تح لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ-2006م،ص6.

40- كتاب أساس التأويل، ص 30.

41- نفس المرجع السابق، ص27.

42- نفس المرجع السابق، ص 31.

43- التفسير والمفسرون، ج2، ص22-23.

44- الخُوئي(1247 - 1325هـ 1831 - 1907م)إبراهيم بن الحسين بن علي الدنبلي الخوئي: فاضل، من أهل خوي (بإيران) قتل بالرصاص في داره، أيام الانقلاب الدستوري. له كتب منها (ملخص المقال في علم

الرجال- ط) و (الدرة النجفية -ط) في شرح نهج البلاغة، و(شرح الأربعين حديثا - ط) ورسالة في (الأصول)،ينظر: الأعلام، الزركلي خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م ص37.

45- الخوئي أبو القاسم الموسوي ، البيان في تفسير القرآن، طبع الآداب، النجف،ط2، ص281-282.

46 - ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تر عبد الرحمن بن محمد وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، م ع س، 1416هـ-1995م، ج13، ص231.

47- نفس المرجع السابق،ج 13، ص236-237.

48- الصدر محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول، مكتبة النجاح، طهران، إيران، ط2، 1395هـ-1975م، ص 139- 145.

49- الغزالي أبو حامد محمد، قواعد العقائد، تح موسى محمد علي، عالم الكتب، لبنان، ط2، 1405هـ - 1985م، ص117.

50- الغزالي أبو حامد محمد إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، ص 37/ علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامى، دار الفكر العربي، القاهرة، ج م ع، ط7، 1417هـ-1997، ص 21.

51- الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط 1هـ، 1415هـ-1994م، ج1، ص8.

52- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1،ص34.

53 - مصطلحات في كتب العقائد، ص15.

54- حركة باطنية ظهرت في القرن 3هـ، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهيا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية.ينظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تح مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 1418 هـ، ج1، ص393.

55- الخطيب محمد أحمد، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، مكتبة الأقصى، عُمان، الأردن، ط 1406،1هـ-1986م، ص 349.

56- الجعفي المفضل بن عمر، الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، تح مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت لبنان، ط2، 1977م، ص 41.

57- الفرق بين الفرق، ص 280.

58-تقي شرف الدين، النصيرية دراسة تحليلية، بدون دار الطبع، ص 126.

59-نفس المرجع السابق، ص143/أفندي الأذني سليمان، الباكورة السليمانية في كشف أسرار النصيرية، بدون دار الطبع، ص 12.

60- النصيرية دراسة تحليلية، ص143.

61- نفس المصدر السابق، ص143

62- نفس المصدر السابق، ص 143.

63- الباكورة السليمانية في كشف أسرار النصيرية، ص30-31.

64- نفس المصدر السابق، ص24.

65- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، ص 392-393.

66- الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات في أصول الشريعة، تق بكر بن عبد الله بن زيد، تخ أبو عبد الله مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفان، الخُبر، م ع س، ط1، 1417هـ-1997م، ج4، ص233.

67- نفس المصدر السابق، ص 57.

68- الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الاعتصام، تح سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، م ع س، ط1، 1412هـ-1992م، ج1، ص322.